التلفزيون الجزائري بين استراتيجية الخدمة العامة وضغط القنوات الفضائية

بن زيان جمال: باحث في علم الاجتماع

مقدمة:

إذا اعتبرنا أن الثقافة هي الموجه الاجتماعي لأي مجتمع، فإن الوسائل الإعلامية التكنولوجية وعلى رأسها التلفزيون هي سندها ووعاؤها وحاملها وموزعها، بحيث يتميز التلفزيون بقدرة خارقة في التلاقي بالمشاهدين وخلق جو التآلف معهم وإقناعهم أو التأثير في توجهاتهم وأفكارهم ومن ثم السيطرة عليهم بحصر مخيلاتهم وأفكارهم، وهذا ما يؤكده ماكلوهان بحيث يرى" أن تكنولوجيا الاتصال لها تأثير مهم في التنظيم الحسي الفكري"[1]

ويؤكد هذا من خلال الألفة التي تنتج بين المشاهد والوسيلة بحيث لا يمكن للأفراد أن يتخلصوا من التلفزيون أو مقاطعته، لهذا تجدنا عندما ندخل البيت نحس بالوحدة ونلجأ إلى تشغيل التلفزيون والاكتفاء بسماع برامجه دون مشاهدة الصور، والاكتفاء بدوره كأنيس، لذلك يركز ماكلوهان على هذا الأمر بالذات بحيث يعتبر أحيانا أن الوسيلة أهم من المضمون، "فالناس سيشاهدون التلفزيون مهما كانت البرامج المذاعة، بحكم أنه يفرض سيطرته على البشر"[2].

فالإنسان تواق لمعرفة كل ما هو جديد، لتجديد أفكاره و تحسين أنماط حياته، فنحن اليوم أمام ظاهرة انفجار المعلومات، بعدما كنا في الأمس القريب نعاني شح المعلومات و ندرتها خاصة مع التطور التكنولوجي الهائل الذي استطاع أن يلاقي بين ما يسمى بالثالوث التكنولوجي(التلفزيون والقمر الصناعي والحاسوب) الذي سمح لنا بالحصول على المعلومة بالصوت والصورة، وبجودة عالية في الزمان والمكان الذي نريده، بحيث لم يعد استقبال البرامج حكرا على شاشة التلفزيون فقط بل تعداه إلى استخدام الهاتف النقال الذكي، وشاشة الحاسوب عن طريق الانترنت.

ورغم أن مصادر المعلومة تطورت وتعددت مازال التلفزيون يمثل العنصر الأساسي لدى الأفراد في الحصول على المعلومة والترفيه والتثقيف، وهذا ما دفعنا إلى ضرورة معرفة دور التلفزيون الجزائري اتجاه المشاهدين؟ وما هي مكانته في ظل هذه التطورات التكنولوجية والمنافسة التي تخلقها القنوات الفضائية؟

وبما أننا بحاجة إلى معرفة أنفسنا وفهم سلوكياتنا وممارساتنا وما يحيط بنا وما يحدث من حولنا في مجتمعنا، فإننا بحاجة ملحة إلى تلفزيون يفهمنا ويعكس انشغالاتنا، وينقل إبداعاتنا، لذلك هل وفق التلفزيون الجزائري في القيام بهذه المهام؟ وللإجابة على هذه الأسئلة لا بد من التعرف أولا على مراحله وتوجهاته.

1-ريفرز وليام، ترجمة إبراميم إمام، وسائل الاعلام والمجتمع الحديث، القامرة، دار المعرفة، 1985، ص47.

2-الجريدي نبيل عارف، مقدمة في علم الاتصال، العين، مكتبة الامارات، ط3، 1995، ص189.

توجهات التلفزيون الجزائري في ظل الالتزام بالأيديولوجية الرسمية:

جعلت الدولة التلفزيون الجزائري مؤسسة حكومية منذ الوهلة الأولى التي اشتغل فيها تحت سلطتها بحيث أممته ووظفته لخدمة أهدافها وأبعادها وأيديولوجيتها، ولتوظيف أفكارها وحماية استقرارها السياسي والاجتماعي، يقول أبو الحسن سلام: "إن رغبة كل نظام اجتماعي في الحفاظ على أطره وسياساته العامة تجعله يحيط نفسه بعدد من الأجهزة المختلفة بشتى المناحي حتى يضمن لنفسه تطبيق دستوره وسياساته وتجسيد برامجه في المجال الخارجي ليضمن سلامة نظمه الاتصالية وهو يحيط ذلك كله بسياج إعلامي متطور، وفي حركة دائمة ومرنة تمكن من تغطية ممارساته الإجرائية المنفذة لسياساته داخليا و خارجيا"[1].

ولا يمكننا أن نتصور أي نظام سياسي في أي بلد من دون تغطية إعلامية والتي يستغلها في توجيه رعيته والتواصل معها أو تضليلها والسيطرة عليها، وهذا ما نجده عند إبراهيم إمام "أن كل نظام سياسي له نظامه الإعلامي الذي يتماشى معه ويخدم أغراضه"[2].

وتأثر التلفزيون الجزائري باختلاف التوجهات السياسية للدولة ففي كل مرحلة يوجه وفق النمط السياسي الذي تتبناه الدولة كمنهج سياسي واقتصادي، بحيث نجده في فترة الستينات يتغنى بإنجازات الثورة التحريرية وتعبئة الجماهير للالتفاف حول المؤسسات الفتية للدولة، كون الدولة الجزائرية كانت في بداياتها الأولى، وتفعيل دور الأفراد للتضحية من أجل البلاد والمصلحة العامة والاستسلام للشرعية الثورية.

أما في فترة السبعينات وهي الفترة التي عرفت الجزائر أوجها إقليميا ودوليا بعد تبنيها الفكر الاشتراكي، فكان لزاما أن يوجه تفكير الأفراد نحو الإصلاحات الشاملة والمتمثلة في الثورات الاقتصادية والتربوية والافتخار بنجاح النظام الاشتراكي و التغني برواده إلى غاية أحداث أكتوبر من سنة 1988 والتي تعد القطيعة مع المناهج السابقة من خلال التحولات السياسية التي عرفتها الدولة في تلك الفترة، أين واكب التلفزيون الجزائري مرحلة الانفتاح السياسي والمسار الديمقراطي للدولة بالسماح للأفراد والهيئات بتأسيس جمعيات وجرائد ومجلات خاصة والتعبير عن أفكارهم وآراءهم بحرية مطلقة.

لقد أصبح التلفزيون الجزائري منبرا لجميع الأطراف دون تمييز أو إقصاء، بما فيها الأطياف التي كانت سببا في حصول الأزمة السياسية فيما بعد، والتي كادت أن تعصف باستقرار البلاد ووجودها، مما دفع بالدولة إلى إعادة هيمنتها وسيطرتها على التلفزيون واستعماله كوسيلة موجهة لحماية البلاد من التفكك و من خلال إعداد رسائله لتكون صالحة للزمان والمكان، بهدف الحفاظ على استقرار الأمة واستمرارها في إطار التوجه السياسي الذي انتهجته السلطة، وهذا ما نجده عند عبد الحليم محي الدين الذي يعتبر أن " الإعلام عنصر مهم في إنجاح الاستراتيجيات السياسية والاقتصادية والثقافية والحضارية، لذلك لا يمكن الاستغناء عن هذه

1-أبو الحسن سلام، الارهاب في وسائل الاعلام، الجزء الثاني، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة، ط 1، 2005، ص12.

2-عبد الحليم محي الدين، الاتصال بالجماهير و الرأي العام، الأصول و الفنون، القاهرة، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1993، ص23.

الفضائيات بحكم دورها في عملية ما يسمى بالترويج"[1].

ورغم أن العالم في تطور مستمر، وتطورت معه مصادر إنتاج المعلومة وتوزيعها وتداولها، وسرعة انتشارها وصعوبة التحكم فيها، بحيث أصبح بإمكان الفرد الحصول على المعلومة التي يريدها من مصادر متعددة قبل أن تصل إلى وكالة الأنباء الرسمية، و مع ذلك لا زالت السلطة السياسية تحاول احتكار المعلومة وعدم السماح بتداولها وعرضها على شاشة التلفزيون ومحاولة تغييبها أو تناسيها أو عدم إحاطتها بالاهتمام اللازم، أو حجبها كليا إن أمكن الأمر، مع أنها تكون متداولة في قنوات تلفزيونية أخرى أو مواقع التواصل الاجتماعي على الإنترنت، و هنا يرى نصر الدين العياضي :"أنه لا بد من تحرير التصور السياسي في الميدان الإعلامي، أي على القرار السياسي أن يستجيب لحاجات الجمهور ليس على مستوى ذوقه فقط بل على مستوى المساهمة في تكوينه الثقافي"[2].

وهذا ما دفع بالرئيس "اليامين زروال" إلى إصدار تعليمة سنة 1997 "يحث فيها وسائل الإعلام وعلى رأسها التلفزيون الجزائري بالانفتاح على المجتمع والاقتراب أكثر من اهتماماته ومعايشة انشغالاته"[3].

فالجمهور له رغبات يريد تحقيقها أو الاستفادة منها أو الاستمتاع بها، لكنه لا يجد الفضاء المناسب الذي يمكنه من الحصول على مبتغاه، وهنا يقول هوجرين hogreene:"أنه من واجب نظم البث الوقوف عند رغبات الرأي العام، و ليس أن تقوم هي بقيادته كما تشاء"[4]

التلفزيون الجزائري وتحدياته الجديدة:

بعد الأزمات الكبيرة التي عرفتها الجزائر في بداية التسعينات، تكالبت الوسائل الإعلامية العالمية على الجزائر بتضخيم الأحداث وتهويل الأمور وتقديم تأويلات مؤسفة عن الأوضاع في بلادنا، والتشكيك في نزاهة السلطة السياسية في التعامل مع مختلف القضايا، لذلك ارتأت الدولة أن تبعث بوسيلة إعلامية تكون موجهة نحو العالم الخارجي بهدف مواجهة المد التطرفي وإسكات المتكالبين علينا ومن جهة أخرى تقديم صورة حسنة عن الجزائر، والتواصل مع الجالية الجزائرية في الخارج وربطها بوطنها الأم وهذا ما تجسد في قناة ألجريان تيفي ALGERIAN TV سنة 1994 والتي كانت تعرض برامجها باللغتين العربية بنسبة 85 والفرنسية بنسبة15، ثم توالى ظهور القنوات الحكومية مع قناة الجزائرية الثالثة والتي تصادف انطلاقها مع الفاتح جويلية 2001 والغاية من وراء تأسيسها هو التواصل مع الجالية الجزائرية في المشرق العربي والتعريف بالثقافة الجزائرية في العالم العربي وتحسين صورة البلاد خارجيا والتعريف بخصال المجتمع الجزائري الشهم والمتسامح .

1-العياضي نصر الدين، المجلة العربية للثقافة، تونس، المنظمة العربية للثقافة و الفنون، عدد33، 1997، ص74.

2 -داود شريف، مجلة الشاشة الصغيرة، مؤسسة التلفزيون الجزائري، عدد 37، 1998، ص07.

3 -Patrick Besenval, La télévision, La Rousse, Paris, 1984, P39.

4 -محمد سيد محمد، المسؤولية الإعلامية، القامرة، مكتبة الخانجي، 1987، ص31.

أما القناة الرابعة والخامسة تحت تسمية القناة الأمازيغية، وقناة القرآن الكريم، فقد ظهرتا معا في مارس 2006، لتدعما التغطية الإعلامية التي تسيطر عليها القنوات العربية في هذا المجال، فالمجتمع الجزائري يزخر بثقافات عديدة والبعض منها غير متعارف عليها حتى بين الجزائريين أنفسهم فجاءت، القناة الأمازيغية لتقرب بين طبوع الثقافة الأمازيغية وتعرف بأبعاد ثقافتها ولهجاتها وعاداتها وتقاليدها وتواجدها وإسهاماتها عبر التاريخ، ونفس الأمر بالنسبة لقناة القرآن الكريم بحيث ظهرت قصد حماية الفكر الجزائري من التطرف والوقوف في وجه الأفكار التخريبية الهدامة للفكر والعقل، ومن ثم التعريف بالمذهب المالكي المعتدل الذي توارثه أجدادنا جيلا بعد جيل، والتركيز على دور الزوايا الصوفية في الحفاظ على الدين الإسلامي في بلادنا ومن ثم نقله إلى أدغال إفريقيا بفضل الطريقة التيجانية والرحمانية والشيخية وغيرها.

وظـائـــــفه:

يلتزم التلفزيون الجزائري عبر باقته بالخدمة العامة لجميع شرائح المجتمع مراعيا تباين الأذواق وتفاوت المستويات الثقافية والاجتماعية، فيحاول أن ينوع من مادته الإعلامية من فترة لأخرى، وفق دفتر الشروط وحسب المستجدات والتطورات التي تطرأ سواء على الساحة العالمية أو على المستوى المحلي، ومهتما في استراتيجيته بالعناصر الثلاث للإعلام وهي الأخبار والترفيه والتثقيف والتي نعرضها كالآتي:

الوظيفة الإخبارية:

فهم التلفزيون الجزائري أدواره جيدا، وعلم أن الخبر هو العنصر الذي يلفت انتباه المشاهد ويعكس اهتمامه، ويجدد الفرد من خلاله معلوماته وأفكاره، يقول في هذا الشأن محمد سيد: "والنظرة البسيطة لواقعنا العالمي المعاصر تؤكد أن الخبر اليوم أساس ومن غير الأخبار لا نستطيع أن نفهم ما يجري حولنا في عالمنا المعاصر"[1]

ولذلك نجد أن هذه المادة تحتل مكانة مقدسة في سلم البرامج، موزعة على خمس حصص يومية، تحتل أفضل المواقيت، و لم نشهد لها يوما أن تغيبت عن شاشة التلفزيون أو تم إلغاءها، ما عدا بعض التأخيرات أحيانا بسبب طارئ ما، ويتم إعلام المشاهد مباشرة بهذا التغيير، ولا يحدث هذا الاستثناء إلا مع مادة الأخبار لأن الدولة تولي هذه المادة اهتماما كبيرا كونه المجال الذي يسمح للسلطة بإثبات وجودها و حضورها على الساحة، والتعريف بمشاريعها وإنجازاتها وأهدافها وتوجهاتها المستقبلية، و هذا ما يؤكده هارولد لاسكي: "أنه لا وجود لأي حكومة في العالم لا تعمل على توجيه الأنباء الوجهة التي تخدم مصالحها"[2]

كما يهدف التلفزيون بهذه المادة إلى ربط العلاقة بين المواطن والسلطة وتعزيز ثقة المواطن تجاه السلطة، والقضاء على عنصر الشك بتقديم الحقائق والمعلومات الفورية والصحيحة لحجب الصورة السوداء القاتمة التي بناها المواطن في ذهنه عن السلطة من جهة وبسبب الأوضاع المتردية من جهة أخرى، فقد أصبح المواطن يرى في كل ما يأتيه من جهة الحكومة فهو محلا للشك أو الرفض مباشرة، ومن ثم اللجوء إلى البحث عن معرفة الحقيقة من مصادر أخرى قد تتسبب في تقديم معلومات مغلوطة ربما تنعكس على الاستقرار العام للبلاد، لذلك يقول عبد الله الركيبي: "بالقضاء على فكرة الشك وانعدام

1- دليو فضيل، مقدمة في وسائل الاتصال الجماهرية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجزائرية، 1998، ص92.

2-دليو فضيل، نفس المرجع، ص 71.

الثقة التي تسود حياتنا نلحظ المبالغة التي تسيطر على أحكامنا وتفسيراتنا لما يجري أو يقع من أحداث في بلادنا"[1]

الوظيفة الترفيهية:

يعد الترفيه ظاهرة اجتماعية لها أبعاد نفسية وفسيولوجية، تؤدي بالفرد إلى الاستقرار، وضبط سلوكياته وتهذيب تصرفاته ومراجعة توجهاته، فهناك من الباحثين من يعتبره غذاء تعليميا فعالا على نطاق واسع في معظم الثقافات، فمن خلاله يمكن للفرد أن ينمي فكره و يبرز مهاراته وينشط مواهبه، وتختلف رؤية الأفراد للترفيه من جانبين فالأول هو إحساس الأفراد بالحرية بعد ساعات من العمل وبذل الجهد فهو وقت للاستمتاع والاسترخاء، والتخلص من الضغوطات، أما الوجه الثاني فهو ملء الفراغ وفقط و هذا ما نجده عند هربرت ميد: " أن الترفيه هو وقت الفراغ الذي ندخره للراحة والتأمل والترويح"[1]

وبما أن مجتمعنا فتي من حيث التركيبة العمرية للأفراد بحيث يطغى عنصر الشباب على الواجهة، فالشباب يميل غالبا إلى اللهو والمرح وعدم الالتزام بالضوابط و التمرد على القيم وعدم التقيد بالنصائح والأوامر والنواهي، بحيث يعتبرونها في غالب الأحيان قديمة ولا تواكب اهتماماتهم، بحيث يطمحون إلى كل ما هو جديد والانصراف عن الأمور الجدية، فكان لزاما على التلفزيون أن يضع هذه الأمور في الحسبان، ويكيف برامجه وفق اهتماماتهم ويثير ميولاتهم لتوجيههم الوجهة التي يريدها المجتمع من جهة، ومن جهة أخرى إرشادهم وتوجيههم، من خلال تخصيص جزء كبير من البرنامج اليومي لهذه الفئة، من خلال تنويع المادة الترفيهية وإثرائها، وجعلها في مستوى ما يتعرض له الشباب في وسائل أخرى، وهذا ما جسده التلفزيون الجزائري، بإثراء المحتوى ففي مجال المسلسلات فهي متوفرة ومتنوعة المحلية الجزائرية والعربية والمدبلجة إلى اللغة العربية – التركية والكورية وغيرها – والمنوعات الموسيقية المتنوعة الطبوع فنجد الجزائرية الثرية والمختلفة، والعربية وحتى الغربية، وتكون في شكل حصص ومهرجانات أو ومضات ومقتطفات خفيفة موزعة بين برنامج وآخر من حين لآخر.

ويهتم الشباب بالرياضة كثيرا خاصة إذا ما تعلق الأمر بكرة القدم وإنجازات الفريق الوطني، فتجد الرياضة لنفسها مكانا عريضا أيضا خاصة من حيث توفر الحصص المتنوعة والمعالجة للشأن الرياضي، وتقديم بعض المباريات المحلية للأندية الجزائرية والفريق الوطني فقط، باعتبار أن البطولات الأجنبية حكر على قنوات عالمية كبيرة.

أما الأفلام فقليلة من حيث الحجم وهي متمثلة في فيلم واحد كل نهاية أسبوع، مع غياب الجديد طبعا بسبب غلائها، ومع ذلك فقد حافظ التلفزيون الجزائري على تقاليده بعرض فيلم كل نهاية أسبوع، مع العلم أنه في الفترة الزاهية التي تمتد من 1990 إلى 1992 فإنه كان يعرض فيلمين في الأسبوع وهو الأمر الذي لم تكن تستطيع فعله حتى القنوات الفرنسية نفسها.

الوظيفة التثقيفية:

ترى مهى سهيل: "أن التلفزيون بإمكانه أن يثقف الناس وينمي معارفهم وتذوقهم للفنون والأدب عن

1 -الركيبي عبد الله، الهوية بين الثقافة والديمقراطية، دراسات ومقالات الجزائر، دار هومة، 2007، ص27.

طريق البرامج الثقافية التي يقدمها للناس في جميع مجالات المعرفة المختلفة"[1]

وهذا ما يسعى إليه التلفزيون الجزائري، بحيث يهتم بالجانب الثقافي والفكري باعتباره تنمية مستدامة، تنعكس على تفكير الأفراد وسلوكياتهم وممارساتهم وعلاقاتهم فيما بينهم.

فالبعد الثقافي بميادينه المختلفة السياسية والاقتصادية والدينية والفكرية، يطور أساليب تفكير الأفراد، ويوسع من تصوراتهم ونظرتهم للأمور، والرقي بسلوكياتهم إلى الممارسات الحضارية في التعبير عن أراءهم أو المطالبة باحتياجاتهم، بسلوك نموذجي راق ينم عن وعي اجتماعي وفكري إذا ما تعلق الأمر بالجانب السياسي أو الاجتماعي، أو الالتزام بالوسطية والدين الصحيح والابتعاد عن التعصب وعدم اللجوء إلى العنف في القضايا الدينية، وتعزيز الروح الوطنية لدى المشاهدين وخاصة عنصر الشباب منهم، والافتخار بالبطولات التي قام بها الأجداد أثناء الثورة أو المقاومة الشعبية، والإحساس بمعاناتهم، والاعتزاز بالانتماء إلى هذا الوطن من خلال معرفة تاريخينا ومكانة الفرد الجزائري عبر التاريخ، يقول نصر الدين العياضي: "إن السمات البارزة في تلقي برامج التلفزيون تفسر بمقدرة هذا التلفزيون على تجنيد الشعور بالانتماء للمجموعة الوطنية ورعايته"[2].

وحث الشباب على الانتظام والانخراط في الجمعيات، والتعبير عن آرائهم بأساليب حضارية وسلمية، وفي شكل موحد ومتقارب.

كما تعد السياحة عنصرا ثقافيا مهما يهتم التلفزيون الجزائري به كثيرا، كونها تعرف بالثروات الجغرافية والتضاريس المتنوعة التي تزخر بها بلادنا، من شواطئ وغابات وجبال وصحراء واسعة وثرية، وكذلك التعريف بالثقافات الكثيرة التي تكون شخصية الفرد الجزائري، والوقوف على أهم المواقع الأثرية والمحميات الطبيعية التي تعكس حضور الجزائر عبر السنين.

مشكلات التلفزيون الجزائري في ظل المنافسة الإعلامية:

يمكن أن ندرج معاناة التلفزيون الجزائري ومشكلاته من زاويتين، ففي الأولى نجد المشكلات الذاتية، وفي الثانية نجد المشكلات الخارجية الخارجة عن نطاقه.

المشكلات الذاتية:

-ضعف الإخراج ورداءة الصورة التلفزيونية وتأخره في استعمال تقنيات العرض الحديثة خاصة إذا ما تعلق الأمر بالمباريات الرياضية.

-لا يهتم بعملية سبر الآراء لتقييم مستوى برامجه في نظر المشاهدين وردود أفعالهم، قصد أخذ الاحتياطات اللازمة لتعديل وتحسين برامجه والتعويض إن أمكن.

-عدم التزامه بالمواعيد، فأحيانا تلغى برامج أو تؤخر لأسباب مختلفة ودون سابق إنذار أو إعذار للمشاهدين.

-إلغاء برامج ناجحة جدا لأسباب واهية مثل: حصة ملاعب العالم، وكل شيء ممكن، ومن الحياة، أو الجليس، أو خاتم سليمان، وكلها كانت حصص تلاقي تجاوبا كبيرا من طرف المشاهدين، والبعض منها نال جوائز دولية مثل حصة ساعة من ذهب سنة 2007 في مهرجان القاهرة للإذاعات والتلفزيونات العربية.

1-دليو فضيل، مرجع سابق، ص.72

2- العياضي نصر الدين، التلفزيون دراسات و تجارب، الجزائر، دار هومة، 1998، ص68.

-تفريطه في بعض الكوادر والإطارات الخبيرة والمؤهلة والتي تصنع نجاحات قنوات أخرى.

-إعداده وإنتاجه واقتناؤه لبرامج واهية وضعيفة المحتوى وبعيدة الذوق خاصة في فترات حساسة كالفترات الصيفية أو شهر رمضان وكلها عوامل تفقد مشاهدين لصالح أطراف أخرى.

-قدسية نشرة الأخبار خاصة نشرة الثامنة التي يتجاوز عرضها الزمن المخصص فتقلص من وقت برنامج آخر له مشاهدوه الأوفياء.

-تكرار نفس الرسالة، وعدم الخروج عن المألوف مما يخلق جوا من الملل والروتين.

مشكلات خارجية:

تعتبر هذه المشكلات خارجة عن نطاق التلفزيون الجزائري ويمكن تحديدها فيما يلي:

-التزامه بتطبيق دفتر الشروط والذي يخضع إلى أيديولوجية السلطة باعتباره لسانها وصورتها الرسمية على الساحة الداخلية أو الخارجية.

-التزامه بتقديم صورة حسنة عن الأوضاع العامة للبلاد في إطار كل شيء بخير حتى وإن كلفه ذلك خسارته لمتابعيه.

-تقيده بالمحافظة على الهوية الوطنية في إطار القيم العامة، كعدم التطرق إلى بعض المواضيع التي تخدش الحياء العام وتدخل في نطاق الطابوهات بصفتها تعكس أبعادا غير أخلاقية، مثل ما تعرضه بعض القنوات التلفزيونية الجزائرية الخاصة في شكل حصص مثل الخط الأحمر، والخط البرتقالي، والتي تعد خروجا عن المألوف، ولا يستطيع التلفزيون العمومي مجاراتها في ذلك.

-افتقاده للسيولة المالية من وجهة الإشهار بسبب ظهور القنوات الخاصة، والتي تعد الوجهة المفضلة لبعض الشركات التجارية الكبيرة كونها تحقق متابعة جماهيرية كبيرة.

-بالإضافة إلى أهم عنصر وهو رفع القيود عن القطاع السمعي البصري في الآونة الأخيرة ابتداء من سنة 2011 والذي سمح بظهور قنوات جديدة وتغير الخريطة الإعلامية كليا.

وسائل السمعي البصري في الجزائر:

بلغت تغطية كافة أنحاء التراب الوطني بالبث التلفزيوني كليا مع بداية سنوات الثمانينات، خاصة مع وصول الكهرباء إلى معظم البيوت، وبناء الدولة مصنعا للإلكترونيات يتيح للفرد الجزائري الحصول على جهازه بسعر معقول، وفي هذه الفترة بدأت بوادر الأزمة الاقتصادية للبلاد تظهر ولم يعد التلفزيون الجزائري يؤدي دوره كما يجب، ولم يقم بمواكبة الأحداث في الإطار المناسب، فتغطيته لحجم ساعي يومي في حدود 6 ساعات أصبح غير كاف ولا يفي بالغرض، وبقيت برامجه ثابتة على نفس المنهج وبنفس الوتيرة، مما دفع ببعض الفئات إلى السعي في الحصول على مصدر آخر يزودهم بالمعلومات تكون أوسع حجما وأكثر جودة، وعلى مدار ساعات اليوم، فهذه الوضعية التي كان يعيشها القطاع الإعلامي مهدت لظهور الهوائي المقعر ابتداء من سنة 1985، يقول لطفي مدني في هذا الإطار: " أن بروز التلفزيونات الفضائية الأجنبية في حقل السمعي البصري الجزائري جرى على أرض مهيكلة ومهيأة لاستقبالها"[1].

1- Lotfi Madani, Les télévision étrangères ou satellite en Algérie, formation des audiences et des usages, revue tiers monde, m146, avril- juin 1996, p315.

لكن استخدامه و تداوله لقي معارضة من طرف السلطات العليا للبلاد في المرحلة الأولى لأنها ارتأت فيه خطرا على سياسة الدولة والتوجه العام للبلاد، لكن القرار الذي جاء سنة 1987 والذي تم بموجبه إلغاء قانون منع تداول الهوائي المقعر، ليسمح بذلك استعماله في المجتمع، لكنه كان حكرا على الفئات الجيدة الدخل، يقول في هذا المجال لطفي مدني: "أن ملكية الهوائي المقعر في بداية الثمانينات تقتصر على بعض المحظوظين الذين يمثلون برجوازية الأعمال أو برجوازية الدولة وبقي طويلا وسيلة خاصة"[1] واقتصر دوره في بادئ الأمر على عرض برامج القنوات الفرنسية فقط، مما خلق جوا من الارتياب والارتباك عند بعض الفئات التي تراه صعب المنال لغلاء ثمنه من جهة أو تراه خطر على الأخلاق و الدين والقيم، يقول شفالدوني: " أن في ظل أجواء جسد فيها الانفتاح السمعي البصري موضة العصر أصبحت ملكية الوسيلة رمز للعصرنة"[2]

ومع الانفتاح الديمقراطي النسبي الذي عرفته فترة مطلع التسعينات ظهر الهوائي الجماعي والذي عرف اتحادا وتضامنا وانتظاما للفرد الجزائري لم يعرفه من قبل، من خلال اختيار الأشخاص وعددهم و توزعهم في الحي وسرعة جمع المال وحقوق الاشتراك وربط البيوت بالهوائي الجماعي والاتفاق على عدد القنوات التي يشاهدونها والتوافق في اختيار القنوات الفرنسية لجودة برامجها وسهولة لغتها كونها مألوفة ومتداولة في الحياة اليومية، وبدأ الارتياب يختفي تدريجيا بظهور" قناة MBC العربية سنة 1991 "[3] والتي تعد أول قناة عربية فضائية ظهورا والتي تبث برامجها من لندن، والتي كانت من بين الأسباب التي روجت لانتشار الهوائي المقعر عند بعض الفئات التي كانت ترى في قنواته وبرامجه فكرا تغريبيا، ثم تبعتها "قناة ART العربية سنة1992 "[4] والتي كانت تبث برامجها من روما بإيطاليا .

ومع ظهور الهوائي الفردي خاصة مع ثمنه الزهيد أصبح بإمكان الفرد الجزائري التزود به والذي يتيح استقبال مئات القنوات الأجنبية العربية والفرنسية والأوروبية وغيرها بالمجان، ثم بدأت الأمور في التطور مع تقنيات البث الرقمي ثم العالي الجودة على القنوات المجانية والمشفرة.

ظهور القنوات التلفزيونية الجزائرية الخاصة:

لقد جاء المجال السمعي البصري في الجزائر متأخرا جدا بالنظر إلى مكانة الجزائر دوليا، "فالجزائر تعد أول دول عربية عرفت مؤسسة للتلفزيون وذلك في ديسمبر 1956 "[5]. ومع ذلك تأخر ظهور قنوات محلية خاصة إلى غاية سنة 2011، وكان ذلك من طرف تلفزيون الشروق أولا في دولة الأردن ثم تبعتها قناة النهار في دولة الأردن أيضا مع الالتزام بقانون هذه الدولة، وسرعان ما تغيرت هذه الأوضاع مع صدور قانون الإعلام لسنة

1- lotfi madani, OPCIT, p315.

2 -cheval donné François, discours sur le modernité la communication inégale, un siècle d'audiovisuel en Algérie, 1895 – 1995, revue tiers monde n146, avril – juin 1996, p301.

3 -الديلمي عبد الرزاق محمد، عولمة التلفزيون، الأردن، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1، 2005.

4- الديلمي عبد الرزاق محمد، مرجع سابق، 2005.

5 -راسم محمد الجمال، الاتصال والإعلام في الوطن العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1991، ص112.

2012 والذي يسمح بإنشاء قنوات تلفزيونية فضائية خاصة جزائرية وفق القانون الجزائري ويخضع لدفتر شروط معين تضعه سلطة الضبط التي ترسم حدود ممارسة النشاط، وأي طرف لا يلتزم بالشروط المحددة سلفا أو أن يعرض الوضع العام إلى الخطر بزرع الفتنة ويحرض على الاضطرابات فإن مصيره يكون الغلق والتوقف عن مزاولة النشاط مثل ما حدث مع قناة الأطلس، ثم بدأت القنوات في الظهور الواحدة تلوى الأخرى مثل الجزائرية والهقار والأجواء، KBC،ليتعدى عددها الخمسة عشر قناة، ببرامج متنوعة وبأهداف وتوجهات مختلفة، يكون هدفها في نهاية المطاف خدمة المشاهد الجزائري والحفاظ على استقرار البلاد، والحفاظ على الهوية الوطنية.

عوامل ظهور القنوات التلفزيونية الفضائية الخاصة:

مرت الجزائر في بداية التسعينات بفترة صعبة جدا سادتها حالة الفوضى وعدم الاستقرار والعنف الذي كاد يقضي على كيان الدولة الجزائرية، وقد استغلت بعض القنوات الإعلامية هذه الظروف وبدأت في تضخيم الأمور وافتعال الأزمات وتهويل الأحداث وإعطائها اهتماما أكثر مما تستحقه، هذا من جهة ومن جهة أخرى تلك الأحداث التي عرفتها مواجهة كرة القدم بين الجزائر ومصر وما صاحبها من سوء التفاهم الذي أدى إلى التراشق واتهام كل طرف للآخر على أنه البادئ بافتعال الأزمة، وما نتج عنها من سب وشتم الطرفين لبعضهم البعض، وبما أن الجزائر لا تمتلك أجهزة إعلامية مرئية ترد على المصريين وتهتم بمتابعة تلك الأزمة، كون التلفزيون الجزائري التزم الحياد ولم يعر للقضية اهتماما كبيرا بطلب من السلطة السياسية التي لم تنجرف وراء استفزازات الإعلاميين والسياسيين المصريين، فكان الرد من طرف الصحافة المكتوبة فقط، فأصبح الجزائري يتابع تلك الأحداث على القنوات المصرية رغم الإهانة والشتم التي كان يسمعها يوميا في تلك الفترة، فجاءت هذه القنوات لتفي بالغرض وتعوض ما غاب في الفترات السابقة وترد بشكل غير رسمي –لأنها تمثل نفسها– على كل الاستفزازات التي تتعرض لها الجزائر، مثلما ما نشاهده أحيانا في بعض التجاوزات التي تطلقها الوسائل الإعلامية المغربية وسياسييها.

كما أن دافع ظهورها هو الاهتمام بالتعريف بالثراء الثقافي الذي تتميز به بلادنا ونقله إلى المشاهد قصد خلق تقارب وتعارف بين أبناء هذا الوطن، ومن ثم التعريج على الاهتمام محاولة بانشغالات المواطن والتركيز على واقعه الاجتماعي، والإحاطة ببعض الظواهر التي كانت تعد بالأمس القريب من الطابوهات ولا أحد يتجرأ على عرضها أو التنقيب فيها مثل حالة الأمهات العازبات، والأولاد المجهولين النسب، والاعتداء الجنسي على الأطفال، والاهتمام ببعض قضايا الشباب ومشكلاته وطموحاته، والتركيز على نجاحات البعض منهم ليكون عاملا إيجابيا في التأثير على انشغالات الآخرين.

اهتمامات الشباب ببرامج التلفزيون:

يميل الشباب إلى أمور الترفيه والتسلية أكثر من الأمور الجدية، بحيث يعتبرون أن المواضيع الجدية هي التزامات أكثر ومتابعة وحرص وتركيز وغير ذلك، وكلما كانت الأمور تميل إلى المغامرة والحيوية والتشويق تجدهم أكثر حضورا مشاركة، ففي دراسة لأطروحة الدكتوراه حول اهتمامات الشباب الجامعي بمتابعة برامج التلفزيون الجزائري والقنوات الفضائية المتنوعة لسنة 2015 في عينة مكونة من 600 طالب موزعين بين جامعة الجزائر 2 و3 وجامعة تيبازة، تبين أن اهتمامات الشباب بمتابعة البرامج

الترفيهية التلفزيونية والملاحة في فضاء الانترنت كانت كبيرة، وقد جاءت القنوات العربية المتنوعة، ثم العربية الرياضية والقنوات الخاصة الأكثر متابعة عند الذكور، والقنوات العربية المتنوعة والقنوات الخاصة المحلية الأكثر متابعة عند الاناث، أما المطالعة أو ممارسة الهوايات أو تعلم اللغات فقد جاءت ضعيفة جدا، فإذا كان حال الطالب الجامعي هكذا فما هو وضع الشاب العادي الأقل حظا تعليميا؟

وقد أثبتت الدراسة أن التلفزيون الجزائري الأقل متابعة مقارنة بباقي القنوات الفضائية وانحصرت متابعته بين أحيانا ونادرا في حدود أقل من ساعة يوميا، وكانت القناة الثالثة المفضلة من بين باقة قنوات التلفزيون العمومي.

خـــــاتـمـة:

يحرص التلفزيون الجزائري العمومي على تأدية واجباته وأدواره الإعلامية وفق قاعدة الاخبار والتثقيف والترفيه، ويعمل جاهدا في الحفاظ على المقومات الوطنية من دين ولغة وترسيخ القيم الثقافية بحيث يحرص على الاستقرار الاجتماعي والسياسي، إلا أن إيديولوجية الدولة ودفتر شروطها يعيقان توجهاته وإنجازاته، بحيث لا يسمحان له بتطرق ومعالجة كل الأمور والقضايا وعدم التركيز على الخبايا وقضايا الفساد، لكي لا ترتسم صورة سوداء عن البلاد في الداخل والخارج، باعتبار التلفزيون العمومي هو مرآة للسلطة، ولسانها الرسمي وكل هفوة يقوم بها هذا الأخير تحسب على السلطة السياسية، وهذا ما أثقل كاهله بتفويته لفرص كبيرة ومواضيع عديدة كانت ستجعل منه رائدا بين التلفزيونات العربية خاصة، فأصبح بذلك فريسة سهلة أمام المنافسة التي تفرضها القنوات الفضائية الأجنبية الغربية والعربية وخاصة القنوات الفضائية الخاصة الجزائرية، فهذه الأخيرة ضيقت عليه مصادر تمويله من الإشهار، وكسبت مودة المشاهدين، وجعلته يفقد نسبة منهم لصالح هذه الأخيرة بفضل ما تقدمه من برامج واقعية تعدت المعقول وتعنى بشؤون الأفراد وتعكس معاناتهم واهتماماتهم وتعمل على تزويدهم بالأخبار والمعلومات والحقائق التي يفتقدونها في التلفزيون العام.

قائـــــمة المـــراجع:

1- ريفرز وليام، ترجمة إبراهيم إمام، وسائل الاعلام والمجتمع الحديث، القاهرة، دار المعرفة، 1985.
2- الجريدي نبيل عارف، مقدمة في علم الاتصال، العين، مكتبة الامارات، ط3، 1995.
3- أبو الحسن سلام، الارهاب في وسائل الاعلام، الجزء الثاني، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة، ط1، 2005.
4- عبد الحليم محي الدين، الاتصال بالجماهير والرأي العام، الأصول والفنون، القاهرة، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1993.
5- العياضي نصر الدين، المجلة العربية للثقافة، تونس، المنظمة العربية للثقافة والفنون، عدد33، 1997.
6- داود شريف، مجلة الشاشة الصغيرة، مؤسسة التلفزيون الجزائري، عدد 37، 1998.
7- Patrick besenval, la télévision, la rousse, paris, 1984.
8- محمد سيد محمد، المسؤولية الإعلامية، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1987.
9-دليو فضيل، مقدمة في وسائل الاتصال الجماهرية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجزائرية، 1998.

10_ الركيبي عبد الله، الهوية بين الثقافة والديمقراطية، دراسات ومقالات الجزائر، دار هومة، 2007.

11_ المقدم مهى سهيل، المجتمع القروي بين التقليد والتحديث، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1995.

12_ العياضي نصر الدين، التلفزيون دراسات وتجارب، الجزائر، دار هومة، 1998.

13 _lotfi madani, les télévision étrangères ou satellite en Algérie, formation des audiences et des usages, revue tiers monde, m146, avril- juin 1996.

14_ cheval donné François, discours sur le modernité la communication inégale, un siècle d'audiovisuel en Algérie, 1895 – 1995, revue tiers monde n146, avril – juin 1996.

15-الديلمي عبد الرزاق محمد، عولمة التلفزيون، الأردن، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1، 2005.

16-راسم محمد الجمال، الاتصال والإعلام في الوطن العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1991.